

# أبو دلف

## مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي

(رحالة من طراز خاص)

د. يوسف بن أحمد حواله



يُزخر سجلنا الحضاري بإشارات عديدة لتماذج من الرجال اقتُرنت شهرتهم لا على أساس ما عرفوا به وطبعوا، بل وفقاً لاهتمام آخر برعوا فيه، فطُيّر لهم شهرة في ذلك، وغدوا لا يذكرون إلا به. <sup>(١)</sup> وأبو دلف الخزرجي الينبوعي واحد من هؤلاء، فالرجل وإن ولج دنيا الثقافة والمعرفة على أنه شخصية أدبية متفوقة - وإن لم تكن مشهورة -، والرجل وإن نظر إليه مؤرخو الأدب بوصفه مبرزاً في ميدان الأدب، فحقّقوا ترجمته في كتب الأدب. أقول على الرغم من ذلك، فالذكر الأشهر والصيت الأبعد إنما حفظ للرجل في ميدان الرحلة والجغرافيا، وفيهما حظي بنظرة تقدير عميقة لجهوده الواضحة هناك من قبل الجغرافيين المسلمين، وكذلك من قبل المستشرقين والباحثين الأجانب، الذين قدموه جميعهم لنا بعد دراسة آثاره الجغرافية: جغرافياً من الطراز الأول، كما يقول عبدالرحمن حميدة في كتابه: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم. <sup>(٢)</sup>

يقتضي المقام ، قبل أن نتحدث عن الظروف التي جعلت منه: جغرافياً رحالة ، أن نعرف به ، في إمامة قصيرة ، مدفوعين إليها دفعاً. ذلك أن كتب التراجم الأدبية - والجغرافية كذلك - لاتسعدنا بترجمة مستفيضة عن أبي دلف. كل الذي أمكننا أن نستقيه منها : أن اسمه : مسعر بن مهلهل أو المهلهل ، وأنه عربي صريح النسب ، إذ يعود في نسبه إلى قبيلة الخزرج الأنصارية. وسكنت أسرته بلدة ينبع النخل<sup>(٣)</sup> ، ولذلك صار يعرف بالينبوعي أو الينبعي ، ويكنى أبا دلف<sup>(٤)</sup>.

بالقدر الذي ضنت علينا المصادر بذكر شيء ذي بال عن أسرته وحياته في بلدته ينبع النخل ، فقد ضنت علينا كذلك بأية إشارة عن مولده ، وأين كان؟ على أن المستشرقين الذين تتبّعوا ترجمة حياة أبي دلف ذكروا - دونما تعصيد ذلك بأية إشارة تاريخية - أنه ولد في بلدته ينبع النخل. استغرب محمد عبدالمعظم خفاجي - وهو محق في ذلك- ، الذي ألف عن أبي دلف كتاباً سماه: أبودلف الخزرجي - عبقري من ينبع<sup>(٥)</sup>. أقول استغرب ما قالوه من شأن ولادته في ينبع النخل ، ثم عودتهم إلى استبعاد ذلك ، وعد ذلك تناقضاً كبيراً<sup>(٦)</sup>.

أما وفاته فقد كانت فيما غلب على ظن بعض المراجع سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م أو بعدها بسنة وقد قارب بل صرم التسعين من عمره. ولنا مع الذين رأوا في كلام الثعالبي صاحب كتاب بتمية الدهر في محاسن أهل العصر من أن أبادلف (قد خنق التسعين من عمره في الاطراب والاعتراب)<sup>(٧)</sup> دليلاً على أنه ولد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م<sup>(٨)</sup> مادامت سنة وفاته غير محققة على وجه التعيين. بيد أن الشيء الذي لامرأ فيه أن أبادلف من رجال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وأنه كان معاصراً لدولتي: السامانيين<sup>(٩)</sup> ، التي قامت في خراسان وما وراء النهر ، والبويهيين<sup>(١٠)</sup> الذين قامت دولتهم في العراق وفارس. والشيء المحقق كذلك أنه قد اتصل ببعض أمراء ووزراء هاتين الدولتين ، وحظي عندهم بمكانة عالية ودرجة رفيعة ولاسيما الوزيرين الشهيرين: ابن العميد<sup>(١١)</sup> ثم صاحب بن عباد<sup>(١٢)</sup>.

يبقى من أمر ترجمته الأدبية الإشارة إلى أنه اشتهر بصفة خاصة بالتفوق في الشعر، إذ هو مجاله الأرحب، وقد تفنن في أشعار المدح والطرائف حيث دار حولهما شعره، إضافة إلى اقتصراره على أغراض معينة: كالمدح والهجاء والفكاهة<sup>(١٢)</sup>. بجانب هذا فقد كان قرناً لمعاصريه من الشعراء أمثال: السلمي<sup>(١٣)</sup> والمنتبى والبستي<sup>(١٤)</sup> وغيرهم من أدباء كتاب بنيمة الثعالبي.

لقد تمخضت القراءة الفاحصة لأثار أبي دلف الخزرجي البنيوي ومعاصره - بديع الزمان الهمداني: مخترع فن المقامة في الأدب العربي، التي قام بها محمد عبدالمنعم خفاجي في كتابه سالف الذكر -، تمخضت الدراسة عن أن أبا دلف الخزرجي هو نفسه بطل مقامات بديع الزمان الهمداني المكنى بأبي الفتح الإسكندري. وهذا بالطبع موضوع آخر لاشأن لنا به.<sup>(١٥)</sup>

على أننا لا يمكن أن نفارق ترجمته الأدبية دون أن نذكر ما اتفق عليه باحثو الأدب قديماً وحديثاً - تقريباً - من أن أبا دلف زعيم أو رائد الشعر الساساني الذي بدور محتواه على الاستجداء والكدية والاحتتيال على أخذ المال بأي سبيل، وصوغ ذلك في قوالب شعرية فكاهية تتضمن كلمات غير قاموسية: أي استخدام كلمات واصطلاحات عامية من عامية العصر العباسي الثاني، تعرف باسم: مناكاة بني ساسان لا يعرفها سوى أولئك السائلين والمشعوذين والمحتالين. وفي كتاب محمد عبدالمنعم خفاجي سالف الذكر إسهاب مفيد حول أصل تسمية هؤلاء بالساسانيين، وكذلك سرد لأسماء بعض شعراء الساسانيين من أهل الكدية والاستجداء وأماكن تجمعاتهم<sup>(١٦)</sup>.

### رحلة أبي دلف الأولى :

الحقيقة إن لأبي دلف رحلتين، وليست ثلاث رحلات. وعندما نقول: رحلتين، فإننا بذلك لانذهب إلى ما ذهب إليه محمد عبدالمنعم خفاجي<sup>(١٧)</sup> من أمر وجود رحلة لأبي دلف إلى بلاد الهند غير رحلته إلى بلاد الصين، وغير رحلته

الأخرى إلى أواسط آسيا في إيران والقوقاز وأرمينيا وخراسان وأذربيجان فالقول بأن ثمة رحلة إلى الهند لا يمكن قبوله إلا بكثير من التحفظ، وإلا فالمشهور أن لأبي دلف رحلتين كما ذكرنا قبل قليل، وهما ما تضمنته الرسالتان اللتان عثر عليهما في مدينة مشهد الإيرانية - كما سنشير إليه لاحقاً -، أما رحلة الهند فإنما هي جزء من رحلته إلى بلاد الصين أي الرحلة الأولى، وهو الأمر الذي عاد خفاجي إلى قوله في تعليقه على الرحلة الأولى. (١٩) على أية حاله فإن رحلة أبي دلف الأولى يمكن عدّها - في شيء من التجوُّز - رحلة سياسية. وفي الحق فإن أبادلف لم يكن من أهل السياسة ولكن شاء له الله أن يحط رحله في مدينة بخارى عاصمة الدولة السامانية التي كانت تنتصب في بلاد خراسان وما وراء النهر. ثم لا يلبث أن يسوقه حظه السعيد إلى بلاد أميرها: نصر بن أحمد الساماني الذي حكم بين سنوات ٣٠٠ - ٣٣١هـ/ ٩١٢ - ٩٤٢ م. وهناك بسطع ويلمع سعده عندما يحيطه الأمير ووزيره أبو عبدالله محمد بن أحمد بن نصر المشهور بالجيهاني بعطفهما وبالغ ودهما. حتى إذا جاءت سفارة صينية من قبل ملك الصين تخطب ابنة أمير بخارى لأحد أمراء الصين فيأبى على الأمير دينه تلبية هذه الرغبة، فيضطر الوفد إلى أن يعرض أن يزوج الأمير أحد ولده من ابنة ملك الصين، فيوافق الأمير. أقول حتى إذا جاءت السفارة الصينية وحدث الاتفاق، لم يجد الأمير مانعاً من أن يكون أبو دلف واحداً من أفراد الوفد الذي بعث لحمل الفتاة لزوجها، محققاً بذلك رغبة شاعره الشخصية في اغتنام قصد الصين (٢٠).

هكذا نرى أبادلف يخرج برفقة الوفد الصيني - وبالطبع رُسل أمير بخارى - سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢ م، أي في السنة نفسها التي انتهى فيها حكم الأمير نصر فيعبر بلاد التركستان والتبت، ثم يدلف نحو الصين، فيؤدي والوفد المهمة، ثم يعود أدراجه منها - أي الصين - نحو الهند، ثم أخيراً إلى خراسان وما وراء النهر حيث الأمير الحاكم وابنه: نوح الذي كان يرقب مقدم فتاته، حيث بنى بها في مدينة بخارى (٢١).



## رحلة أبي دلف الأخرى :

أما رحلته الأخرى ، فيبدو أنه قام بها دونما تكليف من أحد ، وإنما جاءت - وقد فتحت رحلة الصين شهيته- برغبة شخصية منه ، وقد ساح خلالها في أقاليم عديدة من أواسط آسيا في إيران والقوقاز وأرمينيا وخراسان وأذربيجان . ويرى محمد عبدالمنعم خفاجي<sup>(٢٢)</sup> - في شيء من الظن - على خلاف ما ذهبنا إليه أن هذه الرحلة قد حدثت بتشجيع من الوزير البويهى : الصاحب بن عباد بين عامي : ٣٣١ - ٣٤١هـ / ٩٤٢ - ٩٥٢م ومعتمده في ذلك إشارة ساقها الشعالي في كتابه اليتيمة عن هذا الموضوع . بيد أننا لانذهب إلى ذلك ونرى بالمقابل وجاهة ما ذكره إغناطيوس كراتشوفسكي في كتابه : تاريخ الأدب الجغرافي العربي<sup>(٢٣)</sup> من أن دور الصاحب بن عباد قد انحصر في تشجيع رحالتنا بوضع رسالة عن رحلته هذه . أما مسألة التوقيت الزمني لهذه الرحلة فلا مشاحة في الاعتراض عليها كما حققها الباحثون الذين عرضوا لأمر رحلتي أبي دلف في دراستهم للرسالتين اللتين كتبهما بشأنهما .

أما وقد استفاد لنا التعريف بالرجل ، ثم شرح ظروف رحلتيه ، فإننا مدعوون إلى أن ندع أبا دلف يحدثنا بأسلوبه عن رحلتيه أو بعض فصولهما ، حيث لا يتسع المقام إلى أكثر من ذلك .

## أبو دلف يروي طرفاً من رحلته الأولى :

( . . . فخرجت إلى الساحل أريد «كله»<sup>(٢٤)</sup> وهي أول الهند ، وآخر منتهى سير المراكب ، ولايتيها لك أن تتجاوزها وإلا غرقت . فلما وصلت إلى كله رأيتها وهي عظيمة عالية السور ، كثيرة البساتين ، غزيرة المياه ، ووجدت بها معدناً للرصاص القلعي لا يكون إلا في قلعتها في سائر الدنيا . وخرجت منها إلى بلد القفل ، فشاهدت نباته ، وهو شجر عادي لا يزول الماء من تحته ، فإذا هبت الريح تساقط حمله ، وإنما يجتمع فوق الماء وعليه ضريبة للملك ، وهو لأمالك له . وحمله أبداً

لا يزول شتاء ولا صيفاً، وهو عناقيد، فإذا حميت الشمس انطبق على العنقود من ورقه ثلثا يحترق بالشمس، فإذا زالت الشمس زالت تلك الأوراق<sup>(٢٥)</sup>.

### فصل من مشاهداته في رحلته الثانية :

(... ) ووصلت إلى قلعة ملك الديلم المعروفة بـ «سميران»<sup>(٢٦)</sup>، فرأيت في أبنيتها وأعمالها فيها ما لم أشاهده في غيرها من مواطن الملوك. وذلك أن فيها ألفين وثمانمائة ونيّفًا وخمسين داراً كباراً وصغاراً. وكان محمد بن مسافر صاحبها<sup>(٢٧)</sup> إذا نظر إلى سلعة حسنة أو عمل محكم، سأل من صانعة؟ فإذا أخبر بمكان موضعه أنفذ إليه من المال ما لا يرغب مثله فيه وضمن له أضعاف ذلك إذا صار إليه. فإذا حصل عنده منع من أن يخرج من القلعة بقية عمره. وكان يأخذ أولاد رعيته ويسلمهم في الصناعات، وكان كثير الدخل قليل الخرج واسع المال ذا كنوز عظيمة. فما زال على ذلك إلى أن أضمر أولاده مخالفته رحمة منهم لمن عندهم من الناس الذين هم في زي الأساري. فخرج يوماً لبعض مُتصِدّاته، فلما عاد غلقوا باب القلعة، وامتنعوا عليه، فاعتصم منهم بقلعة أخرى من بعض أعماله. وأطلقوا من كان عنده من الصناع، وكانوا خمسة آلاف إنسان، فكثّر الدعاء لهم بذلك<sup>(٢٨)</sup>.

(ثم أتني رجعت إلى أذربيجان في الجبل إلى موقان<sup>(٢٩)</sup>، وكان مسيري ثمانين فرسخاً تحت الشجر على ساحل بحر طبرستان<sup>(٣٠)</sup> العظيم، حتى أتيت موضعاً يقال له: باكويه<sup>(٣١)</sup> من أعمال شروان، فألقيت به عيناً للنفط تبلغ: قبالتها<sup>(٣٢)</sup> كل يوم ألف درهم، وإلى جانبها عيناً أخرى تسيل نفطاً أبيض كدهن الزئبق لا ينقطع ليلاً ولا نهاراً، ويبلغ ضمانه مثل ذلك<sup>(٣٣)</sup>).

### أبو دلف في أرمينية :

(... ) وبأرمينية معدن للملح الأندرائي، وبها معدن مغنيسيا، ومعدن نحاس ومنه يكون التوتيا<sup>(٣٤)</sup> الحمودي والصفاضي. وفيه شيء من الزاج<sup>(٣٥)</sup> الأسود، وبها نبات الخزامى<sup>(٣٦)</sup>، والشيخ<sup>(٣٧)</sup> الذي يخرج الحيات من الجوف، إلا أن

التركي خير منه وأقوى . وبها حشائش كثيرة نافعة ، وبها السنبل<sup>(٣٨)</sup> الرومي . وبأرمينية عيون يخرج منها ماء حامض مفتح<sup>(٣٩)</sup> ، وبها زرنينج أصفر<sup>(٤٠)</sup> كثير في معدن واحد مما يلي المشرق ، وبها زاجات وكباريت قليلة ، ولا معدن فضة ولاذهب بها . وأرمينية رخيصة الأسعار ، وربما كان القحط بها عظيماً جداً ، وهي كثيرة الأفات ، وبها حجارة كثيرة ذوات خواص مذكورات . وتقوم بها عدة أسواق في السنة<sup>(٤١)</sup> تباع فيها أشياء كثيرة من الفرس والديباج والبغال ، وغير ذلك . وأرمينية قليلة الآثار<sup>(٤٢)</sup> .

لايترك أبو دلف أرمينية دون أن يروى لنا طرفاً من عادات أهلها وذلك إذ يقول<sup>(٤٣)</sup> : (وبالقرب من مدينة أرمينيا مدينة أفلوغونيا<sup>(٤٤)</sup>) ، وفي أهل ذا البلد خدمة للضيف وقرى واسع ، وحسن طاعة لرهبانهم ، حتي أن الواحد منهم إذا حضرته الوفاة أحضر القس ودفع إليه مالاً واعترف له بذنب ما عمله ، والقس يستغفر له ، وقد تضمن له - عياداً بالله - الصفح والعفو عن سائر ذنوبه . ويقال إن القس ييسط كساءه ، فكلما ذكر ذنباً بسط القس يده ، ثم قبضها ، وقال : قد أخذته ثم يطرحه في كسائه . فإذا لم يبق له ذنب جمع القس كساءه وحمله وخرج وقال : قد حملت ذنوبك ، وأنا ألقياها في الصحراء ، ويقرر في نفسه الغفران والتجاوز وليس هذه السنة في شيء من الأديان كلها إلا في هؤلاء ، وهم ضرب من الأرمن<sup>(٤٥)</sup> .

**أبو دلف في مدينة الري :**

(٠٠٠) وقد خرج من الري<sup>(٤٦)</sup> عدة من العلماء والكتاب والشعراء . ومياه الري عذبة وبنية ، وبها ماء يقال له : السورين ، رأيت أهلها ينكرونه «يتطيرون منه» ولايقربونه ولهم الثياب الرازية التي لاتعمل في سائر الدنيا إلا في بلدهم . ولقد رأيت ثوباً منه تكسيه<sup>(٤٧)</sup> نحو مائتي شبر ، قد بيع بعشرة آلاف درهم . ولأهلها الخبث والغباوة والذكاء<sup>(٤٨)</sup> ، وبالري جبال تدعى : قصران ، وهي جبال شامخة عالية ، وإذا امتنع أهلها على السلطان لحمل الخراج ، لم يقدر عليهم ، وإنما لهم عند صاحب الري رهانن . وأكثر فاكهة الري من هذه الجبال . ويقوم الورد بالري أربعة أشهر ، وبها حيات صغار تنفع من الجرب<sup>(٤٩)</sup> .

## • أخيراً : أبو دلف في مدينة : رام هرمز •

أخيراً، فثمة وصف لا نقول إنه الأخير لمدينة تدعى: رام هرمز: (مدينة رام هرمز<sup>(٥٠)</sup>) مدينة جبلية وفيها أبنية عادية<sup>(٥١)</sup> عجيبة، والمعادن في أعماقها كثيرة وقلما رأيت ملحاً أحكم في الصنعة من ملحها، وبها هوام قتالة لا يبلُ سليمها. <sup>(٥٢)</sup> وبها عيون الكبريت الأصفر البحري<sup>(٥٣)</sup>، لا يوجد هذا الكبريت في غيرها. وفي أهلها ساحة ليست لغيرهم من أهل الأهواز<sup>(٥٤)</sup>.

## • رحلتنا أبي دلف وموقعهما من البحث العلمي •

آن لنا بعد هذه الرحلة الطويلة بعض الشيء مع أبي دلف أن نعرض لموقع رحلتيه من البحث العلمي، ثم أهميتهما التاريخية والعلمية. في البدء نستطيع القول بصدد الرحلة الأولى إلى بلاد الصين، إن أبا دلف قد وضع أخبارها على هيئة رسالة بعث بها إلى السامانيين الذين هبوا له قصد الصين، وقد جاءت استجابة لمطلب مضيفيه من السامانيين أولاً، ثم البويهيين، وتحديدًا وزيرهم صاحب بن عباد ثانياً. دليل ذلك ما جاء في مقدمة رسالته الأولى التي يخاطب فيها ربما الملك الساماني: نوح بن نصر - لأن أباه قد مات في السنة نفسها ٣٢١هـ/٩٤٢م، حيث تمت رحلة الصين، غير أن تدوين أخبارها تم بعد فترة - ثم صاحب بن عباد. قال أبو دلف: (إني لما رأيتهما ياسيدي، أطال الله بقاءكما لهجين بالتصنيف، مولعين بالتأليف أحببت أن لا أخلي دستوركما، وقانون حكمتكما من فائدة وقعت إلي مشاهداتها وأعجوبة رمت بي الأيام إليها ليروق معني ما تتعلمانه السمع، ويصبو إلى استيفاء قراءته القلب... فرأيت معاونتكما لما وشج بيننا من الإخاء، وتؤكد من المودة والصفاء)<sup>(٥٥)</sup>.

وفي الرسالة الثانية، أي التي ضمت أخبار الرحلة الثانية نراه يؤكد على المعنى نفسه، ويوجهها - أي الرسالة - إلى ذات الشخصين، فيقول: (جردت لكما يا من أنا عبدكما<sup>(٥٦)</sup>) أدام الله لكما العز والتأييد والقدرة والتمكين جملة من سفري كان

من بخارى إلى الصين على خط الوتر ورجوعي منها على الهند، وهو سُمِّتَ<sup>(٥٧)</sup> قوسيه، وذكرت بعض أعاجيب ما دخلته من بلدانها، وسلكته من قبائلها، ولم أَسْتَفْصِ المقالة حذراً من الإطالة، ورأيت الآن تجريد رسالة شافية تجمع عامة مشاهدته وتحيط بأكثر ما عاينته لينتفع به المعتبرون ويتدرب به أولو العزة والطمأنينة ويثقف به رأي من عجز عن سياحة الأرض... إلخ<sup>(٥٨)</sup>.

لئن كان خفاجي<sup>(٥٩)</sup> يرى أن المقصودين بالرسالة: أحد ملوك السامانيين ثم صاحب بن عباد، فإنه يتراءى لنا أن الملك الساماني هو: نصر بن نوح الذي تولى الحكم من سنة ٣٣١ - ٣٤٣هـ/٩٤٢ - ٩٥٤م، وذلك من وجهين: أولهما أن أباً دلف تربطه بهذا الملك الفتى ماسة قوية، فهو أحد الذين حملوا إليه زوجه. الأمر الآخر هو أن الرحلة الثانية وكما يذهب خفاجي نفسه<sup>(٦٠)</sup> قد تَمَّتْ بين سنوات ٣٣١ - ٣٤١هـ/٩٤٢ - ٩٥٢م، ولانفسي أن الملك الساماني السابق كان قد توفى سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، وأن الرسالتين وكما يقول خفاجي كذلك قد كتبتا بعد عهد طويل من قيامه بالرحلة الأولى<sup>(٦١)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد كتب أبودلف رسالته الأولى والتي عثر عليها مع الرسالة الأخرى ثم ضمنهما كتاباً سماه: عجائب البلدان، إلا أن الكتاب لم يشتهر عند المستشرقين إلا برسالتي أبي دلف الأولى والثانية، واللّتين طبعتا في كتاب مترجم إلى العربية كما سنشير لاحقاً وكذلك في قائمتي الفهارس والمراجع.

أما موقع الرحلة الأولى من البحث العلمي والحقيقة التاريخية، فقد ذكر متتبعوها من المستشرقين أقوالاً متباينة بحققها، واضطربت بشأنها أقوالهم بين شككٍ بها ومؤيدٍ لها. ويذكر كراتشوفسكي في كتابه سالف الذكر تلك الأقوال التي ذكرها المعارضون بعد أن درسوا خط سير أبي دلف إلى بلاد الصين ونصريحهم بأنهم رأوا فيه خلطاً وتعقيداً شديدين، مما يحمل على القول بأنها من نسج الخيال<sup>(٦٢)</sup>.

بيد أن كراتشوفسكي لا يلبث أن يدلي بآراء لمستشرقين آخرين، تقوِّي من أمر الرحلة، بل وتؤكدُها. وإثر هذا يلخص كراتشوفسكي بعد عرض الحجج المؤيِّدة، مقارنة بالآراء السابقة، يخلص إلى أن الرحلة حقيقة واقعة وأن قوة وحجج مؤيِّديها أقوى من حجج المعارضين، وبالتالي يرى أن لا محل لاعتبارها من نسج الخيال<sup>(١٣)</sup>.

في الحق فإن الجغرافيين والباحثين المسلمين، ولاسيما أولئك الذين نقلوا نصوصاً عن رحلتي أبي دلف في كتبهم كانوا ينظرون بتقدير وثقة لما ذكره أبو دلف عن رحلته. فهذا النديم<sup>(١٤)</sup> يقول عنه بأنه جواله، جاب البلاد وشاهد عجائبها، وأنه كان سيّاحاً زار البلاد، وأخبر بعجائبها. أما القزويني<sup>(١٥)</sup> فإنه لا يكاد يختلف رأيه عن النديم بل وصفه بذات وصف النديم، فقال: إنه كان سيّاحاً. وإذا ما عرضنا لرأي ياقوت في رحلات أبي دلف، ومعلوماته، فلا نجد في الحق إلا تسليماً برواية أبي دلف، فزاه ينقل عنه تصريحاً في ٣٤ اقتباساً، وفي ٢٤ موضعاً دون ذكره اسمه صراحة كما يقول بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف<sup>(١٦)</sup>. على أن ياقوتاً والحق يقال كان يشكك أحياناً في رواية أبي دلف، ومن ذلك تشكيكه في مسألة بقاء الجثث في أصبهان آلاف السنين دون أن تبلى، وهو أمر ذكره أبودلف في معرض حديثه عن مدينة أصبهان مما لا ينسجم مع الواقع العلمي. ولتنظر إلى ياقوت<sup>(١٧)</sup> يقول معلقاً على تلك الرواية بعد انتهاء سرده لها: (قلت أنا: وسألت جماعة من عقلاء - وهذا استخدام مهم - أهل أصبهان عما يحكي من بقاء جثة الميت بها في مدفنها؟، فذكروا لي أن ذلك بموضع منها مخصوص، وهو في مدفن المصلى لا في جميع أرضها). ويبدو أن ياقوتاً قد تظاهر بالقبول كما يخيل إلينا، وإلا فالحق يقال إن للرجل آراء نقدية غاية في الأهمية وردت تعليقاً على النقول التي كان ينقلها عن الآخرين في موسوعته. وعلى كل حال فياقوت، وهو الذي كان اقتبس كثيراً من أبي دلف، كان لا يسلم تماماً بروايته دائماً<sup>(١٨)</sup>، وقد أشار بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف<sup>(١٩)</sup> إلى أن بعض عدم ثقة المستشرقين بأبي دلف يعود إلى نقد بعض العلماء العرب من أمثال النديم وياقوت.

من الباحثين المحدثين ينبري زكي محمد حسن صاحب كتاب: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى<sup>(٧٠)</sup> إلى تأييد الرأي القائل بحقيقة الرحلة، بل ويشير إلى أن المقتطفات اليسيرة التي وردت عن الرحلة الأولى في بعض المصادر العربية تدل دلالة واضحة على دقة ملاحظة أبي دلف. ويرى أنه يكفي مثلاً على ذلك ما فطن إليه أبو دلف من أن الخزف الصيني كان يقلد في بعض البلاد الأخرى مثل إيران، وبلاد الملبار، والهند.

### • الرحلة الأخرى والرأي العلمي حولها •

يرى نفر من الباحثين، نذكر منهم: كراتشوفسكي ومينورسكي وشمسنداد روسكا أن الأقوال التي أوردها الباحثون القدامى والمحدثون على أن الرحلة حقيقية، وأنها ذات أهمية كبيرة في الجغرافية الإسلامية.<sup>(٧١)</sup> تشكل هذه الرحلة التي تضمنتها الرسالة الثانية لأبي دلف مع الرسالة الأولى عن رحلة بلاد الصين مادة المخطوط الذي اكتشف سنة ١٩٢٤م/١٣٤٣هـ، في مدينة مشهد الإيرانية. يقول محمد عبدالمعظم خفاجي<sup>(٧٢)</sup> بأن هذه الرسالة: (تتميز بتركيز شديد ودقة متناهية، وموضوعية غريبة، كما تتميز بمادتها العلمية القيمة التي تضعها في عداد المصادر الأولى للتاريخ العام والجغرافي لآسيا الوسطى).

قبل خفاجي، كان كراتشوفسكي<sup>(٧٣)</sup>، ومحققا الرسالة الثانية: بطرس بولغاكوف، وأنس خالدوف<sup>(٧٤)</sup>: السوفيتيان قد أثنوا جميعهم على رحلة أبي دلف هذه، وما تشكّله من أهمية ولاسيما في حديثه عن النفط في مدينة باكو. كما أن كراتشوفسكي<sup>(٧٥)</sup> أثنى كثيراً عند موافقته للخبير الروسي: روسكا على اهتمام أبي دلف بالظواهر الطبيعية، وحديثه عن النباتات والمعادن وخواصها هذا علاوة على المعلومات التاريخية والجغرافية الوصفية الأخرى.

يمكن القول إن رحلة أبي دلف هذه تصنف في عداد الرحلات الجغرافية التي تعنى بالجغرافيا الحيوية والاقتصادية. إن طغيان جغرافيا التعدين والصناعة على

مادة هذه الرحلة بعد أمراً مثيراً، فلا يمكن لنا أن نقول إن ذلك يدل دلالة واضحة على أنه كيميائي هار، بل يسمح لنا أن نعهده كيميائياً صيدلانياً محترفاً. دليل ذلك ما جاء في رسالته بل في مقدمتها ممأ قاله حرفياً<sup>(٧٦)</sup>: (ولما شارفت الصناعة الشريفة والتجارة المربحة من التصعيديات<sup>(٧٧)</sup> والتقطيرات<sup>(٧٨)</sup> والحلول والتكليسات<sup>(٧٩)</sup> خامر قلبي شك في الحجارة، واشتبهت على العقاقير، فأوجب الرأي اتباع الركازات<sup>(٨٠)</sup> والمتابع<sup>(٨١)</sup>، فوصلت بالخبر والصفة إلى الشيز<sup>(٨٢)</sup>، وهي مدينة بين المراغة<sup>(٨٣)</sup> وزنجان<sup>(٨٤)</sup> وشهرزور والدينور<sup>(٨٥)</sup> بين جبال تجمع معادن الذهب، ومعادن الزبيق ومعادن الاسرب<sup>(٨٦)</sup>، ومعادن الفضة ومعادن الزرنيج الأصفر، ومعادن للحجارة المعروفة بالجمست<sup>(٨٧)</sup>).

إذا فحن أمام هذا النص وغيره مما أوردناه سابقاً نواجه عالماً يعلم الصناعة (الكيمياء) وصيدلانياً محترفاً، ولكن هل هذا هو كل شيء؟ البتة، فالرجل عالم بطبقات الأرض وصخورها (جيولوجي)، مما يرفع من منزلته بين العلماء كما قال عبدالرحمن حميدة في كتابه الذي أشرنا إليه آنفاً. انظر إليه يقول عن تجاربه الميدانية في مدينة الشيز: (وهذه المدينة يحيط سورها ببخير في وسطها لا يدرك له قرار، وإنني أرسيت فيه أربعة عشر ألف ذراع وكسور من ألف، فلم تستقر المثقلة<sup>(٨٨)</sup> ولا اطمأنت، واستدارته نحو جريب<sup>(٨٩)</sup> بالهاشمي، ومتى بُل ماؤه بنراب صار لوقته حجراً صلباً...)<sup>(٩٠)</sup>.

### ما بقي من أمر الرحلتين :

أما ما بقي من أمر الرحلتين، والذي قصدنا تأخيرده، فهو الإشارة إلى موضع طبع الرسالتين اللتين تشكلان مادة الكتاب الذي عرف فيما مضى باسم كتاب: عجائب البلدان، وقد سجله كارل بروكلمان بهذا الاسم في كتابه: تاريخ الأدب العربي.<sup>(٩١)</sup> بيد أنه منذ العشور على مخطوطة مدينة مشهد سنة ١٩٢٤م/١٣٤٣هـ، لم تعد هذه التسمية مستعملة في الإشارة إلى رحلتي أبي دلف،



استعيبض عنها بالرسالتين المطبوعتين - كلا على حدة - والتتين طبعنا على حين فترة من الوقت بين الأولى والثانية.

ولقد ظهرت الرسالة الأولى التي تحتوي أخبار رحلة الصين والهند مطبوعة باللغة الألمانية بعد أن تمت ترجمتها. وقد جرى ذلك على يد المستشرق الألماني: روزاوير (Rohr-Sauer) سنة ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ، الذي عكف على تحقيقها ودراستها وتحليلها. أما الرسالة الأخرى فقد ظهرت لها طبعتان: الأولى سنة ١٩٥٠م/١٣٧٠هـ باللغة العربية في القاهرة على يد المستشرق: مينورسكي مع دراسة باللغة الإنجليزية وكذلك ترجمة للرسالة، والطبعة الأخرى ظهرت بتحقيق ونشر العالمين السوفيتيين: بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف في مدينة موسكو سنة ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ وقد ترجمت إلى اللغة العربية أخيراً بعناية منير مرسى سنة ١٩٧٠م/١٣٩٠هـ<sup>(٩٢)</sup>.

### • مضامين جغرافية طي قطوف أدبية •

لله أبوه هذا الرجل! إن شغفه بالجغرافيا والرحلة والترحال جعله لا ينسى أن يتحدث في قصيدته اسي خصصها عن الساسانيين، والمعروفة بالقصيدة الساسانية<sup>(٩٣)</sup> أقول لا ينسى أن يضمّنْها مضامين جغرافية، ويتحدث عنها حديث المستهام بها. يقول أبو ذؤلف في هذه القصيدة: (٩٤)

فنحن الناس كل النسا	س في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق	من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل في كل	أرض خـبـلنا تسري
لنا الدنيا بما فيها	من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثلج	ونشتو بلد التمر

وكذلك:      تغربنا إلى أننا      تناءينا إلى شـهـر  
فظل البينُ يرمينا      نوى بطناً إلى ظهـر  
وأيضاً:      ألا إنني حلبت الدهر      من شطر إلى شطر  
وجبت الأرض حتى صرُ      ت في التطواف كالخضر  
وما عيش الفتى إلا      كحال المد والجزر

هذه الأبيات بمضامينها الجغرافية، ألا تذكرنا بالجغرافيين والرحالة، وبانطباعاتهم ووصف حالة تغربهم؟ ألا يذكر قوله هذا بأقوال معاصره الجغرافي المورخ السعودي<sup>(٩٥)</sup>، الذي اعتذر في مقدمة كتابه للقراء عن أي تقصير أو إغفال لشيء قد عرض: (لما شاب خاطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الأسفار، وقطع القفار على متن البحر، وتارة على ظهر البر، مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة... ونقحنا الشرق والغرب، فتارة بأقصى خراسان، وتارة بوسائط أرمينيا، و... و...، فسيري في الأفاق سرى الشمس في الإشراق؟) ألا نحس بأن ثمة التقاء بين أبيات، أو لنقل بعض الأبيات السابقة لأبي دلف مع ما تمثل به السعودي :

تيمم أقطار البلاد فتارة      لدى شرقها الأقصى وطورا إلى الغرب  
فغربت حتى لم أجد ذكر مشرق      وشرقت حتى قد نسيت المغارب؟

الحق نقول: بلى، فالرجل جغرافي رحالة من الطراز الأول، على أن النظم الشعري المليئ بالمضامين الشعرية كما أوردناه سابقاً لم يكن وحده في الميدان، إذ ثمة نص منشور جاد به علينا الثعالبي أيضاً في كتابه: لطائف المعارف. هذا النص لأبي دلف بمقدار مافيه من أدب رفيع وخفة ظل وروح مشبعة بالدعاية والظرف وما احتوت عليه من ترويح في موضوعها، وحيوية متدفقة في الأسلوب والعرض، وهي بذلك قطعة أدبية خالصة مائعة. أقول بمقدار ما قربها ذلك من

الأدب، فقد قربها بمقدارٍ مماثلٍ من الجغرافيا الوصفية، تلك التي تعرض إلى خصائص الأقاليم وطبائعها.

روى الثعالبي في كتابه: لطائف المعارف<sup>(٩٦)</sup> هذه المحاور والمداعبة الظرفية التي جرت في مجلس عضد الدولة البويهى<sup>(٩٧)</sup> بين أبي علي الهائم<sup>(٩٨)</sup> وأبي دلف.

بدأت المحاور من قبل أبي علي الهائم، الذي وجه سهام ظرفه إلى أبي دلف قائلاً: صبَّ الله عليك طواعين الشام، وحمى خيبر<sup>(٩٩)</sup>، وطحال البحرين<sup>(١٠٠)</sup> ودمامل الجزيرة<sup>(١٠١)</sup>، وسناقر<sup>(١٠٢)</sup> دهستان<sup>(١٠٣)</sup>، وضربك بالعرق المدني<sup>(١٠٤)</sup>، والنار الفارسية، والقروح البلخية<sup>(١٠٥)</sup>.

فقال له أبو دلف: يا مسكين أنقراً ثَبْتُ على أبي لهب، وننقل التمر إلى هجر<sup>(١٠٦)</sup>، بل صبَّ الله عليك ثعابين مصر، وأفاعي سجستان<sup>(١٠٧)</sup>، وعقارب شهرزور<sup>(١٠٨)</sup>، وجرارات<sup>(١٠٩)</sup> الأهواز<sup>(١١٠)</sup>، وصبَّ على برود<sup>(١١١)</sup> اليمن، وقصب مصر، ودبابيج<sup>(١١٢)</sup> الروم، وخزوز<sup>(١١٣)</sup> السوس<sup>(١١٤)</sup> وحرير الصين، وأكسية فارس، وحلل أصبهان، وعمائم الأبله<sup>(١١٥)</sup>. وسقلاطون<sup>(١١٦)</sup> بغداد، وسنجاب<sup>(١١٧)</sup> خرخيز<sup>(١١٨)</sup>، وسمور<sup>(١١٩)</sup> بلغار<sup>(١٢٠)</sup>، وثعالب الخزر، وفنك<sup>(١٢١)</sup> كاشغر<sup>(١٢٢)</sup>، وفاقم<sup>(١٢٣)</sup> التفغزغز<sup>(١٢٤)</sup>، وحواصل<sup>(١٢٥)</sup> هراة، وتلك<sup>(١٢٦)</sup> أرمينية، وجوارب قزوين.

وأفرشني: بسط أرمينية، وزلالي<sup>(١٢٧)</sup> قاليقلا<sup>(١٢٨)</sup>، ومطارح<sup>(١٢٩)</sup> ميسان<sup>(١٣٠)</sup>، وحُصْرُ بغداد، وأخدمني: خصيان الروم، وغللمان الترك، وسراري<sup>(١٣١)</sup> بخارى، ووصائف سمرقند، وحمْلُني على عتاق<sup>(١٣٢)</sup> البادية ونجائب<sup>(١٣٣)</sup> الحجاز، وبراذين<sup>(١٣٤)</sup> طخارستان<sup>(١٣٥)</sup>، وحمير مصر، وبغال برذعة<sup>(١٣٦)</sup>.

ورزقي تفاح الشام، ورطب العراق، وموز اليمن، وجوز الهند، وباقلاء الكوفة، وسكر الأهواز، وعسل أصبهان، وتمر كرمان<sup>(١٣٧)</sup>، ودبس<sup>(١٣٨)</sup> أرجان<sup>(١٣٩)</sup>، وتين حلوان<sup>(١٤٠)</sup>، وعنب بغداد، وعُقاب<sup>(١٤١)</sup> جرجان، وأجاص بُست<sup>(١٤٢)</sup>، ورمّان الري، وكثري نهاوند، وسفرجل نيسابور، ومشمش طوس<sup>(١٤٣)</sup>، وملّين مرو<sup>(١٤٤)</sup>، وبطيخ خوارزم.

وأشمنى: ممسك تبت<sup>(١٤٥)</sup>، وعود الهند، وعنبر الشحر<sup>(١٤٦)</sup>، وكافور قنصور<sup>(١٤٧)</sup>، وأترج<sup>(١٤٨)</sup> طبرستان، ونارنج<sup>(١٤٩)</sup> البصرة، ونرجس<sup>(١٥٠)</sup> جرجان، ونيلوفر<sup>(١٥١)</sup> السيروان<sup>(١٥٢)</sup>، وورد جور<sup>(١٥٣)</sup>، ومنثور<sup>(١٥٤)</sup> بغداد، وزعفران قم، وشاهسفرم سمرقند<sup>(١٥٥)</sup>.

فقال عضد الدولة في انبهار عظيم: لله درك يا أبا دلف، مثلك ينادمُ الملوك. وأمر له بخلعة وصلة حسنة.

وبعد فما نقول عن أبي دلف إثر هذا؟ ألسنا محققين عندما قلنا عنه: إنه رحالة من طراز خاص؟ أو ليس من وصفه - بأنه كان: جغرافياً من الطراز الأول لم يَغدُ الحقيقة أبداً؟. النُصفاً نقول: بلى.

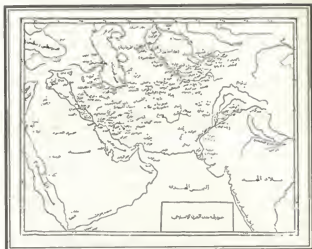


### خريطة رقم (٧)

المصدر : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى

صنّفه وحققه عبدالمنعم ماجد - ورسم خرائطه وحققه علي السقا

منشورات دار الفكر العربي - ط ٢



### خريطة رقم (٨)

المصدر : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى  
صنّفه وحققه عبدالنعم ماجد - ورسم خرائطه وحققه علي السقا  
منشورات دار الفكر العربي - ط ٢

## الهوامش والتعليقات

١ - نسوق مثلاً لذلك بذكر شخصيتين علميتين، سطعت شهرتهما في حقل معرفي جانبي على شهرتهما في اهتمامهما العلمي الأساس. فهذا أبو عبدالله محمد بن سحنون بن سعيد (٢٠٢ - ٢٥٦هـ/٨١٧ - ٨٦٩م)، بن العالم والفقيه المغربي المالكي الأشهر: سحنون ابن سعيد صاحب المدونة الكبرى في الفقه، كان عالماً مبرزاً في علوم الشريعة، وعلى رأسها اللغة، متقدماً فيها. ألّف كتاباً في التأديب والمتأديبين - التربية والتعليم -، سماه كتاب آداب المعلمين أو المتعلمين.

وهذا مواطنه أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني الإفريقي (٣٢٤ - ٤٠٣هـ/٩٣٥ - ١٠١٢م)، كان إماماً في علم الحديث رأساً فيه، ومع ذلك ألّف كتاباً في التربية سماه: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين.

هذان المؤلفان - طيراً للرجلين صبيئاً وشهرة، فلا نذكر التربية الإسلامية إلا وبذكر اسميهما. وزاد في شهرتهما أنهما أول من ألّف في التربية الإسلامية. أما تميزهما في حقل تخصصهما الأصلي، فقد يذكران أحياناً في جملة علماء الشريعة، وقد لا يذكر إلا على مستوى ضيق، باعتبار أن لهما أشباهاً ونظائر، ولكن قل أن يتحدّث عن التربية الإسلامية دون ذكرهما وذكر جهودهما فيها كما أسلفنا.

انظر أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دراسات في التربية. منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، التقديم والمقدمة وما بعدهما.

٢ - منشورات دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص: ٢٣٤.

٣ - ينبع النخل: واحة نخيل تقع غرب المدينة المنورة نحو الشمال، وتبعد عنها مسافة ١٥٠ كيلاً، وهي قرية من طريق الحج الشامي، وعرفت بهذا الاسم المأخوذ من الفعل المضارع، لكثرة ينابيعها. وفي الحق فإن المؤرخين والجغرافيين المسلمين عندما يطلقون اسم ينبع، فإنهم يقصدون: ينبع النخل، لأن ينبع البحر - الميناء المعروف على البحر الأحمر - لم يعرف إلا متأخراً بهذا الاسم، وذلك لأن الميناء القديم الذي يدل عليه هو: أكره (بين الوجه وأملج) بجانب ميناء الجار التاريخي (الرايس الآن).

والمسافة بين ينبع النخل ونبع البحر لا تزيد على ٥٢ كيلاً. ونبع النخل هي بلاد جهينة، وسكنها معها كذلك: الأنصار، وبنو حسن بن علي بن أبي طالب الذين استوطنوها وفشا نسلهم فيها.

انظر باقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، منشورات دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٥ أجزاء، ج٥، ص: ٤٤٩ - ٤٥٠، حمد الجاسر: بلاد ينبع - لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص: ٢٧ - ٢٨ - ٤٣.

- ٤ - انظر خير الدين الزركلي: الأعلام، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م، ٨ مجلدات، المجلد السابع، ص: ٢١٦، حيث ترجمته والإشارة إلى مصادر الترجمة، ثم انظر كذلك، حمد الجاسر، بلاد بنيع - لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة، ص: ١١.
- ٥ - نشرته دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض في المملكة العربية السعودية في سلسلة المكتبة الصغيرة، وقد طبع أربع طبعات آخرها طبعة سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ٦ - انظر الكتاب، الطبعة الرابعة منه، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص: ١٩ - ٢٠.
- ٧ - الثعالبي أبو منصور عبد الملك الثعالبي التيسابوري (ت ٤٢٩هـ/١٠٢٧م): بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٤ أجزاء، ج ٣، ص: ٤١٣ - ٤١٤.
- ٨ - من هؤلاء الزركلي: الأعلام، المجلد السابع، ص: ٢١٦، عبدالرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، ص: ٢٣٤، وانظر عبارات التضعيف عند محمد عبدالنعم خفاجي: أبو ذؤلف الخزرجي، ص: ٢٠.
- ٩ - دولة من الدول التي قامت في أنحاء مختلفة من الأمصار الإسلامية إبان ضعف الخلافة العباسية في عصرها الثاني. أسس هذه الدولة: نصر بن أسد الساماني - مطيل أسرة فارسية عريقة - سنة ٢٦١هـ، وأثناء كتاب الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ/٨٦٩ - ٨٩٢م) بولايته على بلاد خراسان وما وراء النهر، ولما مات نصر سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م، آلت الدولة وزعامة السامانيين إلى أخيه إسماعيل بن أحمد (٢٧٩ - ٢٩٥هـ/٨٩٢ - ٩٠٧م) الذي بلغت الدولة السامانية في عهده حداً كبيراً من القوة والاستقرار، ولاسيما بعد أن أسهم في إزالة خطر الدولة الصفارية في خراسان وطبرستان وسجستان - وظل أبناء إسماعيل بن أحمد يتوارثون الملك إلى أن تغلب على مملكتهم محمود الغزنوي سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م وما يجدر ذكره هنا أن الدولة السامانية ظلت محافظة على طاعتها للخلفاء العباسيين طول مدة بقائها.
- انظر الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك، منشورات دار التماموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، دون سنة للطبع، ١٣ جزءاً، ج ١١، ص: ٢٣٥ وما بعدها، ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ): تجارب الأمم، منشورات شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ٦ مجلدات، المجلد الثاني، ص: ١٠٠ - ١٠٤، ١٤٧ - ١٥٧، المجلد الثالث، ص: ١٩٠ وما بعدها في صفحات متناثرة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليها نخبة من العلماء، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٠ أجزاء، ج ٥، ص: ٦٤، ٦٨، ١٠٠، ج ٦ في صفحات متناثرة في معظم صفحات الكتاب، ج ٧، ص: ١٩٦ - ١٩٧، ج ٩، ص: ١٠٢، وانظر حسين إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، منشورات مكتبة المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٦٢، ٤ مجلدات، المجلد الثالث، ص: ٧١ - ٨٢.



١٠- دولة بني بويه (٣٢٠ - ٤٤٧هـ/ ٩٣٢ - ١٠٥٥م)، دولة من الدول الإسلامية التي قامت في قلب الخلافة العباسية في عصرها الثاني، وزاومت الخلافة حتى سمي عصرها بعصر بني بويه.

كادت الدولة البويهية أن تقضي على الخلافة العباسية تماماً بعد أن قضت على نفوذها السياسي. وأل بويه هم أبناء ثلاثة رجال من أبناء أسرة فارسية دلمية: علي، وهو أكبرهم سناً وأكثرهم جهداً في تحقيق ملك بني بويه، ثم الحسن، ثم أحمد، ولقد ظلت الأسرة التي اختلفت في نسبها - وإن لم يختلف في أصلها الفارسي الدلمي - يتوارثها أبناء وأحفاد هؤلاء الملوك الثلاثة، وبسطت نفوذها على بلاد العراقين: العربي، والعجمي، وطبرستان.

عن هذه الدولة، انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد السادس، ص: ٢٣٠ وما بعدها، أي حوادث سنة ٣٢٠ - ٣٥٠هـ/ ٩٣٢ - ٩٦١م وما يتصل ببني بويه منها، ثم انظر الجزء السابع في صفحات تكاد تشمل نصف الجزء هذا، وكذلك الجزء الثامن، في حوادث السنوات التي تلت سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م حتى حوادث سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. ثم انظر ابن مسكويه: تجارب الأمم، المجلد السادس، ص: ٢٧٥ - ٢٨٤، ٢٩٥ - ٣٠٨، ٣٥٢ - ٣٥٧، ٣٧٧ - ٣٨٦، ٤١٠ - ٤١٢، وانظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، المجلد الثالث، ص: ١٠٣ - ١١٤.

١١- ابن العميد، هو: أبو الفضل محمد بن العميد: أبي عبدالله الحسين بن محمد، الوزير المشهور. وزر للأشير ركن الدولة بن بويه البويعي. اشتهر بحسن السياسة، وتدبير الملك، هذا إلى علو كعبه في حقل معرفية وعلمية، منها الفلسفة والأدب بخاصة، الذي كان فيه وفي ترسله إماماً وحده في زمنه. لقبوه بالجاحظ الثاني. توفي ابن العميد سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، وقبل سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م.

للتوسع والاستزادة في أخباره، انظر الثعالبی: بئمة الدهر، المجلد الثالث، ص: ١٨٣ - ٢١٣، ابن خلکان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م/ ١٣٩٧هـ، المجلد الخامس، ص: ١٠٣ - ١١٣.

١٢- الصاحب بن عباد، هو الوزير البويعي الشهير: إسماعيل بن عباد بن العباس، يكنى أبا القاسم: لقب بالصاحب لصحبته للأمير مؤيد الدولة بن بويه البويعي الذي استوزره، وهو الذي ساء بالصاحب. وقيل بل لصحبته لأبي الفضل بن العميد وزير الأمير ركن الدولة البويعي. كان الصاحب بن عباد، أبة في الأدب والعلم والفضل والكرم. أحال ديوان وزارته إلى درجة أدبية بانعة، وفصده الشعراء والأدباء من كافة الأصقاع. ولقد كان له في ميدان التصنيف باعاً كبيراً، إذ صنف عدداً من الكتب منها: كتاب المحيط في اللغة، وكتاب الكافي في الرسائل، وكتاب الوزراء، وغير ذلك، توفي وهو على رأس الوزارة بمدينة الري سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، ودفن بمدينة أصبهان.

للتوسع والاستزادة في أخباره ونوادره، انظر الثعالبى: يتيمة الدهر - المجلد الثالث، ص ١٨٣ - ٢١٣، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم الأديباء، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ٢٠ جزءاً، ط ٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج ٦، ص ١٦٨ - ٣٦٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، المجلد الأول، ص: ٢٢٨ - ٢٣٣.

١٣- راجع محمد عبدالمعتم خفاجي: المرجع السابق نفسه، ص: ٧٥ - ٧٦.

١٤- السلمي الشاعر (أبو الحسن محمد بن عبدالله السلمي (٣٣٦ - ٣٩٣هـ/٩٤٧ - ١٠٠٢م) شاعر من شعراء العراق المعروفين، وقد اتصل ببعضند الدولة البويهية، ومدحه بأشعار غزيرة.

انظر، الثعالبى: المصدر السابق نفسه، المجلد الثاني، ص: ٤٦٦ - ٥٠٦ (ترجمة واسعة)، ابن خلكان: المصدر السابق نفسه، المجلد الرابع، ص: ٤٠٣ - ٤٠٩.

١٥- البستي (أبو القنص علي بن محمد الكاتب (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) شاعر من شعراء خراسان. له ترجمة واسعة عند الثعالبى: المصدر السابق نفسه، المجلد الرابع، ص: ٤٠٣ - ٤٠٩، ابن خلكان: المصدر السابق نفسه، المجلد الثالث، ص: ٣٧٦ - ٣٧٨.

١٦- انظر الفصل الثالث، ص: ٩١ - ١٠٢ مع الحواشى.

١٧- انظر الفصل الثاني، ص: ٨١ - ٩١ مع الحواشى.

١٨- المرجع السابق، ص: ٣١، ٣٣.

١٩- المرجع السابق، ص: ٥٩.

٢٠- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص: ٤٤١، محمد عبدالمعتم خفاجي: المرجع السابق، ص: ٣١ - ٣٢، ٥٩ - ٦٣. الحقيقة إذا كان من إضافة هنا عن قصة ذلك الزواج فهي الإشارة إلى أن موضوع المصاهرة مع الملك الساماني كان أصلاً عرضاً من ملك الصين: قالين بن الشيخير، الذي رغب في مخالطة نصر بن أحمد، ويبدو أنه أراد أن يخطف الفتاة لنفسه، فقام أبى الملك نصر ذلك على نحو ما أوضحنا في المتن، ما كان من رسل الملك الصينى إلا أن عرضوا العرض الآخر وهو أن يزوج بعض (وهذا هو نص العبارة عند ياقوت) ولده، ابنة ملك الصين وعلى أي حال، فقد وصل الوفد إلى مدينة: سندابل، قصبة مملكة الصين وبهادر الملكية، كما هو تعبير أبى دلف، فقابلهم الملك، وأمضى ما اقترحه الرسل على الملك الساماني، وأحسن إلى الرسل، وإلى أبى دلف، ثم جهز الفتاة، وبعثها إلى بخارى في رفقة حاشية، تقع في نحو مائتي خادم وثلاثمائة جارية من خواص خدمه وجواريه.

انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص: ٤٤٠، ٤٤١.

٢١- ياقوت: المصدر السابق نفسه والجزء أعلاه، ص: ٤٤١.

٢٢- المرجع السابق، ص: ٦٣.

٢٣- نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص: ٢٠٤.

٢٤- كَلَّة، قال عنها محمد بن عبدالمعزم الحميري (ت ١٤٩٤/٨٩٠٠م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، نشر مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م، ص: ٤٩٢. جزيرة من جزر الهند، كبيرة بها معدن الرصاص القلعي. ولقد ذكر المحقق إحسان عباس أن الباحثين اختلفوا في تحديد: كَلَّة، فذهب خويه (مستشرق هولندي، له كتاب: مكتبة الجغرافيين العرب) إلى أنها هي Keda أو Kra في شبه جزيرة الملايو. وقال غيره إنها شبه جزيرة ملكة المقابلة لمومطرة، وذكر ثالث أنها هي Pointede-de-Galle، عند شواطئ سيلان الجنوبية.

٢٥- ياقوت: المصدر السابق، ج ٣، ص: ٤٤٥، ج ٤، ص: ٣٨٩.

٢٦- قال ياقوت: المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص: ٢٥٦: سميران: قلعة حصينة على نهر عظيم جار بين جبال في ولاية تارم. (تارم كورة واسعة كما يقول ياقوت: نفسه، ج ٢، ص: ٦، بين قزوين وجبلان).

٢٧- محمد بن مسافر، هو ابن مؤسس عائلة الديلم من بني مسافر، وفي عام ٣٣٠هـ/٩٤١م، قام أولاده بعزله.

انظر بطرس بولغاكوف وأنس خالذوف: الرسالة الثانية لأبي ذُلف رحالة القرن العاشر (الميلادي)، نشر وتعليق محمد منير مرسي، منشورات عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، حاشية رقم (١)، ص: ٤٤.

٢٨- ياقوت: المصدر السابق والجزء أعلاه، ص: ٢٥٦.

٢٩- ولاية باقلم أذربيجان، يمر بها القاصد من أرميني إلى تيريز في الجبال.

ياقوت: المصدر السابق، ج ٥، ص: ٢٢٤.

٣٠- بحر طبرستان: بحر قزوين، وله عدة أسماء أخرى مثل: بحر جرجان، بحر الخزر، بحر خراسان، بحر التاب.

إغناطيوس كرانثوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص: ١٠٩٠.

٣١- باكويه: بلد من نواحي الدريند (التيقلم محيط بالبحر الأسود)، وهي باكوا الآن عاصمة جمهورية أذربيجان (السوفييتية سابقاً)، وتطل على بحر قزوين.

انظر ياقوت: المصدر السابق، ج ١، ص: ٣٣٨، محمد السيد غلاب وآخرون: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بمناسبة المؤتمر الجغرافي الأول، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص: ٣١٢.

٣٢- قبائلها: القبالة - بالفتح - الكفالة، وهي في الأصل مصدر: قبل إذا كفل، وقبل بالضم إذا صار قبيلاً، أي كفيلاً.

- ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت، ١٥ مجلداً، المجلد الحادي عشر، ص: ٥٤٤.
- ٣٣- ياقوت: المصدر السابق نفسه، ج١، ص: ٣٢٨.
- ٣٤- التوتياء: حجر يكتحل بمسحوقه.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية. القاهرة، جزآن، المطبعة العلمية، طهران، الجزء الأول، ص: ٩٠.
- ٣٥- الزجاج: مستحضر كيميائي، وهو حامض الكبريت.
- عمر رضا كحالة: العلوم البحتة في العصور الإسلامية، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص: ٢٥٢.
- ٣٦- خزامى: كبرياء، ثبت طيب الريح أو خبرى البر، كما في الصحاح، وقال أبو حنيفة: زهرة من أطيب الأزهار، وأحدثه خزاماة.
- انظر محمود مصطفى الدمياطي: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي (محمد مرتضى بن محمد بن عبدالرزاق أبو القيس الحمصني الزبيدي). (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ٥١.
- ٣٧- الشبخ: جمع أشباح، ثبت سهلي يتخذ من بعضه المكائس، وهو الأحرار. له رائحة طيبة وظمع مر، وهو مرعى للتخليل والنعم، ومنايته القيعان والرياض.
- محمود مصطفى الدمياطي: معجم أسماء النباتات، ص: ٨٥.
- ٣٨- السنبُل الرومي، هو الناردين.
- محمود مصطفى الدمياطي: المرجع السابق نفسه، ص: ٧٦. أما الناردين فقد جاء في المعجم الوسيط، ج١، ص: ٤٥٥ عنه ما نصه: الناردين: نبات يستخرج من جذور بعض أنواعه عطر مشهور.
- ٣٩- لعل الرحالة هنا يقصد بالماء الحامض المفتح: ماء الفضة المسمى حامض التنريك.
- انظر أحمد أمين: ظهير الإسلام، منشورات دار الكتاب العربي، جزآن، ٥ طبعات، ط٥، الجزء الثاني، ص: ١٩٢.
- ٤٠- ما قدمه أبو دلف مجملأ بشأن الزرنیخ ومقالعه، أفاض جغرافي آخر في الحديث عنه، فقد ذكر ابن حوقل أن بأرمينية مقالع للزرنیخ المجلوب إلى سائر الأرض، ومما قاله عنه: إنه هو أصل الزرنیخ، ومنه الأحمر والأصفر.
- انظر ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص: ٢٩٧. والزرنيخ: عنصر شبيه بالفلزات. له بريق الصلب ولونه، ومركباته سامة، يستخدم في الطب وفي قتل العشرات.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، ج١، ص: ٣٩٤.

٤١- بصدد الأسواق التي أشار إليها أبو دلف، نجد عند ابن حوقل مثلاً معلومات طريفة عن هذه الأسواق الأسبوعية في أرمينية ومدنها المختلفة، ومن تلك الأسواق السوق المعروف بالكركي الكبير، والمدى إلى مسافة تصل إلى فرسخ (أي ٣ أميال).

وقد غلب اسم هذا السوق على اسم اليوم الذي كان يُقام فيه، وهو يوم الأحد من كل أسبوع، حتى أن كثيراً من أهل تلك البلاد إذا عدّ أيام الأسبوع، قال: الجمعة والسبت، والكركي، والإثنين (ن. هـ)، وإن كان ابن حوقل لم يوضح لنا ما تعنيه هذه الكلمة الدارجة؟

انظر ابن حوقل : صورة الأرض، ص: ٢٩١.

٤٢- بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: الرسالة الثانية لأبي دلف رحالة القرن العاشر، ص: ٥٣، ٥٦.

٤٣- انظر بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: الرسالة الثانية نفسها لأبي دلف، ص: ٥٤ - ٥٥.

٤٤- أنقر غوتيا، وصفها ياقوت: المصدر السابق، ج١، ص: ٢٣٢، بأنها مدينة كبيرة من مدن بلاد الأرمن من نواحي أرمينية.

٤٥- إذا كان أبو دلف يقصد تفرد التصرانية بمسألة الاعتراف والكفارة هذه، دون الأديان السماوية الأخرى: اليهودية والإسلام، فهو محق في ذلك. أما إذا كان يقصد تفرد الأرمن وحدهم - وهو ما قد نوحى به عبارة: ... وليس هذه ... إلأ في هؤلاء - فهو مخطئ! لأن هذه المسألة، هي عادة نصرانية مألوفة في معظم طوائف النصارى منذ أيام النصرانية - بعد تحريفها -، وهي المعروفة بمراسم الكفارة أو صكوك الغفران.

ولعلنا هنا نجد لزاماً علينا توضيح أصل هذه العادة، أي الاعتراف، فهو أحد الأسرار الكنسية السبعة - ويسمى أيضاً: سر التوبة - أخذ به المسيح، كما يزعم إنجيل يوحنا، عندما قال لرسله: خذوا الروح القدس: من غفرتُم خطاياهم يغفر لهم، ومن أمسكتُموها تمسك لهم. وتمر التوبة بطقوس مرعية، فعلى المعتزف أن يقر بخطاياهم للكاهن، وأن يكون نادماً وتائباً حقاً، بحيث يعزم على ألا يعود إليها أبداً، وأن يتجنب كل الظروف والأسباب التي تدفع نحوها، وعليه أن يصلح ما أفسد، ويعيد ما سرق. وعند هؤلاء النصارى، ليس للكاهن في سر الاعتراف، إلا أفسد في يد الله (هكذا!!!)، إذا لاسطة للعد في غفران الخطايا، ولا يجوز للكاهن أن يغشى سر الاعتراف.

أخيراً، من المعروف أن مسألة الاعتراف هذه، كانت إحدى نقاط الإصلاح الديني، الذي نادى به مارتن لوثر وغيره، أي جماعة البروتستانت في العصور الوسطى، فقد أنكر هؤلاء هذا الأمر على الكنيسة، وثاروا عليها - ويمكن القول إن مسألة غفران الذنوب، ثم الصكوك التي تعد لذلك، كان دافعه الموصول على المال من قبل البابوية. وفي إبان الحرب الصليبية، كان جمع المال في أول الأمر وسيلة للإغناء من الاشتراك في

تلك الحروب، ثم أصبح وسيلة لغفران الذنوب: ما مضى منها وما هو آت، دون حاجة إلى توبة أو رد ظلامة، كأنما هو تصريح بارتكاب كل الجرائم، بعد أن ضمنت للمعترف الجنة كما يقول أحمد شلبي في موسوعته: مقارنة الأديان.

ومن المناسب في هذا السدد الإشارة إلى أن خطوات الاعتراف هذه يحدث بها تصرفات مشينة، ولا سيما عندما يكون المعترف امرأة. ولا نجد ختماً لهذه المسألة التي لا يفرها دين ولا خلق إلا التذكير بالفارق الكبير بين إجراءات التوبة هذه النصرانية الذميمة، وبين توبة المسلم التي تعتبر غاية في السهولة والبسر، ولا تتطلب أبداً أية وساطة بين العبد وربّه عن مسألة الاعتراف هذه، ومسائل الإصلاح الديني ومواقف البروتستانت انظر المبحث الواسع الذي كتبه: ول ديورانت: قصة الحضارة، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧١م (نسخة مصورة)، ترجمة عدد من الباحثين العرب، ٣٦ جزءاً، الجزء ١٦، ترجمة محمد زيدان، ص: ١٤ - ٢٠، ٤٧.

انظر كذلك أحمد شلبي: مقارنة الأديان، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٩ طبعات، ط ٩، ١٩٩٠م، ٤ أجزاء، الجزء الثاني: (المسيحية)، ص: ٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٥٣ - ٢٥٦، محمد شفيق غربال وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، منشورات دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٢م، ص: ١٧٢.

٤٦- الرّى: مدينة من أمهات مدن إيران، وقد انتسب إليها عدد من علماء الأمة ومفكرها من أمثال الطبيب المشهور أبي بكر الرازي، والإمام الحافظ المصنف فخر الدين الرازي، وغيرهما. والنسبة إليها - أي المدينة - رازي بغير قياس.

ياقوت: نفسه، ج ٣، ص: ١٢٠ وما بعدها، الحميري: الروض المطّار في خبر الأقطار، ص: ٢٧٩.

٤٧- قال ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس، ص: ١٤١، كسور الشوب والجلد: غصونه.

٤٨- هذه صفات مشتركة بين الشعوب، وليست وفقاً على شعب دون آخر.

٤٩- بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: المرجع السابق، ص: ٧٧ - ٧٨ بتصرف يسير.

٥٠- رام هرمز، وأحياناً تكتب: رامهرمز، لأنها تسمية مركبة: مدينة من مدن إقليم الأهواز، وقد تسمى من قبل العامة: رامز، كسلاً منهم عن تلمة اللفظة بكاملها واختصاراً.

ياقوت: نفسه، ج ٣، ص: ١٧.

٥١- أعيناً تفسير هذه العبارة الغامضة لأبي دلف، فلما ندري ما إذا كانت الأبنية: قديمة قدم عاد، أم أنها عادية مثل غيرها من الأبنية الأخرى في المدن والقرى التي زارها؟ ومصدر عجزنا في تفسير هذه العبارة، يعود إلى أننا لم نعر لدى ابن حوقل ولا المقدسي ولا ياقوت ولا الحميري، الذين عدنا لمؤلفاتهم في مادة: الرّاء أو إقليم الأهواز - خوزستان - حيث

نفع المدينة ما يشير إلى تلك الأبنية وطبيعتها، ولعلنا نميل إلى أن المقصود بذلك الرأي أو الاحتمال الأول، لأن سياق كلمة عجيبة التي وصف بها تلك الأبنية، قد يدل على ذلك.

٥٢- السلم: لدغ الحية، والسليم: التدبغ على وزن فعيل من السلم، وقد قيل هو من السلامة، وسمى التدبغ سليماً على التفاؤل، وقد يستعار السلم للتجريح المشفى على الهلكة وهو من الأضداد.

الأنباري (محمد بن القاسم) (ت ٣٢٧هـ/٩٣٢م):

الأضداد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص: ١٠٥ - ١٠٦.

٥٣- الكبريت: مادة معدنية صفراء اللون، شديدة الاشتعال، نوجد حول البراكين.

إبراهيم مصطفى وآخرين: المعجم الوسيط، ج ٢، ص: ٧٧٩. ولقد ذكر محققا الرسالة الثانية لأبي ذؤلف تعليقاً على هذه الكلمة في الحاشية، أن الكبريت الأصفر هذا، يبدو أنه كان يستخرج من قاع خليج فارس والعرب، وربما كان يحتوي على مادة فوسفورية من مياه البحر.

بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: الرسالة الثانية لأبي ذؤلف، حاشية (١)، ص: ٩٥.

٥٤- بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: المرجع أعلاه نفسه، ص: ٩٤ - ٩٥ ينصرف يسير.

٥٥- أنظر باقوت: نفسه، ج ٣، ص: ٤٤٠ - ٤٤١.

٥٦- المستفترئ لكتب صناعة الكتابة، أو ديوان الإنشاء في الدول الإسلامية، يجد في بعض أساليبها ما ينفر عنه الطبع فضلاً عن الدين. فمن أصول المكائيات وترتيبها التي غدت قواعد مرعية في مخاطبة كثير من الملوك من قبل وزرائهم وكتّابهم الحرص على استخدام ألفاظ الخضوع والذل والانقياد المنهي عنها شرعاً. وتكفي مطالعة لكتاب واحد من تلك الكتب، وهو: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقفشندي، لتبين هذا الفعل المذموم، فما هنا ألفاظ: ولية، وعبد، وخادمه، أو العبد الخادم، الصنعة، المملوك، المملوك الصنعة، وأحياناً المملوك الرقي. وهذا محظور في نظر الشرع فالعبودية لا تكون إلا لله. والعبودية التي هي الانقياد والاستسلام، والخضوع والذي لا ينبغي أن تكون لعبير الله أبداً، وإذا كان الرسول ﷺ، نهى أن يقول السيد لمن يسرفه: عبدي، فقال في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة «لا يقول أحدكم عبدي فكلكم عبد ولكن ليقول فتى، ولا يقل ربي فإن ربكم ولكن ليقول سيدي»، فكيف إذن بغير الأرقاء؟.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي تتبع - مثملاً فعل غيره من علماء الإسلام رحمهم الله - موضوع العبودية، فكتب بحثاً مفيداً في ذلك في معرض فتاويه، وقد وضع رحمه الله أن العبودية المحضة هي تعلق بين العبد وبين الله، وأن لفظ العبودية يتضمن كمال الذل، وكمال الحب لله، ولا يكون محباً لله إلا من يتبع رسوله، وطاعة الرسول ومتابعته تحقيق العبودية، وأن يستسلم المسلم له وحده عز وجل، والمستسلم له ولغيره مشترك... إلى غير ذلك.

عن المكائبات وألقاها، انظر القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه يوسف علي طوبل، وقد ضُبِطت هذه الطبعة وقُوبِلت على طبعة دار الكتب المصرية، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ٤ أجزاء، الجزء السادس، ص: ٣٣٢ - ٣٣٤ وعن الحديث النبوي انظر أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م): مسند الإمام أحمد بن حنبل، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٦ مجلدات، المجلد الثاني، ص: ٤٩٦.

أما عن موضع العبودية فانظر ابن تيمية (ت ١٣٢٨هـ/١٩٧٨م): العبودية (مسئلة من فتاويه الكبرى، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، ص: ١٩، ٢٥، ٣٠، ٣٥ - ٤٠.

٥٧ - السُّنْتُ: القصد والمحنة، بمعنى الطريق المستقيم.

ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص: ٤٦ - ٤٧.

٥٨ - بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: المرجع السابق، ص: ٢٩ - ٣٠.

٥٩ - المرجع السابق، ص: ٦٠، ٦٤.

٦٠ - نفسه، ص: ٦٣.

٦١ - نفسه، ص: ٦١.

٦٢ - إغناطيوس كرانثوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص: ٢٠٤ - ٢٠٦، وانظر كذلك بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: نفسه، ص: ١٥.

٦٣ - كرانثوفسكي: المرجع السابق، ص: ٢٠٤ - ٢٠٦.

٦٤ - انظر في هذا الصدد: بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: نفسه، ص: ٢٩.

حيث نقلنا ذلك عن النديم في كتابه القهرست. ولقد جهدت في أن أجِدَ ذكراً لذلك في النسخة التي بين يدي من القهرست، منشورات: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (دون سنة للطبع)، دون جدوى.

٦٥ - انظر كذلك بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: نفسه، ص: ٩.

٦٦ - المرجع السابق، ص: ٦٠.

٦٧ - المصدر السابق، ج ١، ص: ٢٠٧.

٦٨ - انظر: المصدر السابق، الجزء الثالث، ص: ٤٤٠ - ٤٤١ على سبيل المثال.

٦٩ - الرسالة الثانية لأبي دلف، ص: ٢٣.

٧٠ - منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥م، ص: ٣٣ - ٣٤.

٧١ - انظر كرانثوفسكي: المرجع السابق، ص: ٢٠٦ - ٢٠٧.



٧٢ - المرجع السابق، ص: ٦٥.

٧٣ - المرجع السابق، ص: ٢٠٤ - ٢٠٦.

٧٤ - المرجع السابق، ص: ١٩ - ٢٤.

٧٥ - المرجع السابق، ص: ٢٠٦.

٧٦ - انظر بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: نفسه، ص: ٣٠ - ٣١.

٧٧ - التصعيد: التقطير الجاف (تسخين الأشياء الجامدة لاستخراج خلاصتها من غير أن تمر في طور السائل).

عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٤م ص: ٢٤٥، ٢٤٩.

٧٨ - التقطير: غلي الأشياء في الماء لاستخراج خلاصتها روحاً (غازاً) أو سائلاً (ماء).

عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٢٤٥.

٧٩ - التكتيسات: معالجة المعادن والأحجار حتى تصبح مسحوفاً ناعماً.

عمر فروخ: تاريخ المرجع أعلاه نفسه، ص: ٢٤٩.

٨٠ - الركاز: قطع الذهب والفضة تخرج من الأرض، وفي لغة أهل الحجاز: كنوز الجاهلية.

ابن منظور: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٥٦.

٨١ - عند باقوت: نفسه ج ٣، ص: ٣٨٣ المعادن، ويبدو أن هذا هو الذي يتوافق والسياق.

٨٢ - الشيز: مدينة صغيرة من مدن إقليم أذربيجان، وتقع بين المراغة وزنجان وشهرزور.

باقوت: نفسه: ج ٣، ص: ٣٧٣.

٨٣ - قال باقوت: نفسه، ج ٥، ص: ٩٣، مراغة: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، وهناك أكثر من موضع يدعى المراغة، على أن هذه أشهرها - ينسب إلى مراغة جماعة من العلماء والأدباء لعل من أشهرهم: جعفر بن محمد بن الحارث أبو محمد المراغي، أحد الرحالين في طلب الحديث وجمعه المتوفى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م.

٨٤ - زنجان: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها.

باقوت: نفسه، ج ٣، ص: ١٥٢. أما الجبال، فهي جمع جبل، وهو اسم أطلقه العرب على العراق العجمي (مدينة القديمة) وبعبارة أخرى، هي: الولاية التي تحد من ناحية الشرق بصحراء خراسان وفارس، ومن الغرب بأذربيجان، ومن الشمال بسلسلة جبال البرز، ومن الجنوب بالعراق العربي وخوزستان، وسميت بهذا الاسم لأنها جبال كلها فيما عدا السهل الممتد من هذان إلى الري، والسهل الممتد نحو قم.

انظر هيوار (Cl.Hyart): دائرة المعارف الإسلامية، موسوعة أصدرها مجموعة من المستشرقين، وقد ترجمت إلى اللغة العربية بمعرفة نفر من الباحثين العرب، نشرتها عدة دور. والمادة المذكورة وردت ضمن منشورات دار الفكر، القاهرة، صدر منها ١٥ مجلداً، المجلد السادس، ص: ٢٦٩.

٨٥ - دبنور: قال عنها ياقوت: نفسه، جد٢، ص: ٥٤٥ - ٥٤٦: مدينة من أعمال الجبل (أي إقليم الجبال سالف الذكر أعلاه)، وهي من مدته المشهورة، وينسب إليها مجموعة من العلماء وأهل الأدب - منهم أبوحنيفة الدبنوري، صاحب الأخبار الطوال المتوفى سنة: ٢٨٢هـ/٨٩٥م، - ولم يذكره ياقوت في معجمه -.

٨٦ - الأسرب: الرصاص.

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ج ١، ص: ١٧.

٨٧ - الجمست: عند ياقوت: نفسه، جد٣، ص: ٣٨٣: الجمست. ولقد جهدت في معرفة ماتعنيه هذه اللفظة دون جدوى. على أنني وجدت في مادة: جنساً، في المعجم الوسيط، ما يشير إلى أن من معانيها اليبوسة والصلابة، فهل لفظه: جمست، تعني مقدار ما يتميز به معدن الحجارة الذي أشار إليه أبو دلف من صلابة ويبوسة؟.

انظر إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ج ١، ص: ١٢٢.

٨٨ - المنقلة: رخامة ينقل بها البساط.

ابن منظور: المصدر السابق، جد١١، ص: ٨٧١.

٨٩ - الجريب: وحدة قياس مساحة، وقد عرفه ابن منظور: نفسه، جد١، ص: ٢٦٠ بقوله: الجريب: مقدار معلوم من الأرض، وقال نقلاً عن الأزهري: الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة، وهو عشرة أقدرة... وقيل الجريب من الأرض: نصف الفئان، والجريب: قدر ما يزرع فيه من الأرض، والجريب: مكيال قدر أربعة أقدرة.

٩٠ - بطرس بولغاكوف وأنتس خالدوف: المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤ - ٣٥.

٩١ - تولت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية العمل على ترجمته من لغته الألمانية الأصلية إلى اللغة العربية بعناية عبدالطيم النجار، ورمضان عبدالنواب، وقد نشرته دار المعارف المصرية، القاهرة، في ٦ أجزاء. أما ما يتصل بهذه الإشارة الواردة في المتن، فقد وردت في الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، الجزء الرابع، ص: ٢٤٥.

٩٢ - هو الذي بين أيدينا. وقد اعتمدنا عليه في بعض النقولات كما هو واضح، وكما سنشير إليه في موضعه من قائمة المراجع بعد -إن شاء الله.

٩٣ - انظر قبل، ص: من البحث.

٩٤ - النعالي: المصدر السابق، جد٣، ص: ٤١٦ وما بعدها.

٩٥ - المسعودي (ت ٣٤٦ - ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط ٤، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جزآن، جد١، ص: ١٠ - ١١.

٩٦ - لطائف المعارف: واحد من كتب أبي منصور النعالي المشهور بكتابه بتيمة الدهر. وقد حققه إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، ونشرته دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠. والنص منقول عن الصفحة ٢٣٤ وما بعدها بتصرف يسير.

٩٧ - عضد الدولة : هو أبو شجاع فناغمسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي من أشهر ملوك بني بويه قاطبة . وقد اتسعت مملكته جداً لم يبلغه ملك أحد من بيته ، وهو أول من حوَّط بالملك في الإسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان محباً للفضلاء ، مشاركاً في عدة فنون . توفي سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م ببغداد .

انظر بن خلكان : المصدر السابق . ج٤ ، ص : ٥٠ وما بعدها ، حيث تفصيل واسع لترجمته ، وكذلك انظر هامش ص : ٥٠ ، حيث أشار محقق الكتاب إحسان عباس إلى جملة من المصادر التي وردت في أخبار عضد الدولة .

٩٨ - هكذا ورد في متن لطائف المعارف للثعالبي ، ص : ٢٣٤ . أما في الهامش فقد أشار محققا الكتاب في حاشية (١) من الصفحة نفسها أنه الهاشمي ، لم يعرفاً به . ولقد أعاني العثور على ترجمة أو ذكر له في المطان التالية : بتيمة الدهر للثعالبي ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وفيات الأعيان لابن حلكان . ويبدو أن الرجل كان مغموراً ، ولذلك أغلظت ترجمته ، أو لعله قد تُرجم له ، ولم أقع على ذلك فيما تحت يدي من المصادر .

٩٩ - المدينة المعروفة الآن في المملكة العربية السعودية على طريق الشام ، وقد ذكر ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص : ٤٠٩ - ٤١٠ بأن خير موصوفة بالحمي .

١٠٠ - البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل الهند بين البصرة وعمان كما يقول ياقوت : نفسه ، ج١ ، ص : ٣٤٧ وما بعدها .

١٠١ - الجزيرة ، وتسمى جزيرة أفرس ، وهي التي تقع بين دجلة والفرات مجاورة الشام ، وتشمل ديار مصر وديار بكر ، وقد سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات ، وهي موصوفة بكثرة الدماميل .

ياقوت : نفسه ، ج٢ ، ص : ١٣٤ .

١٠٢ - السنقر : طائر شريف حسن الشكل ، أبيض اللون بنقط سود . وهو من سباع الطير .  
النويري (ت ٧٢٣هـ / ١٣٣٢م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، سلسلة من تراثنا ، القاهرة ، ٣٠ جزءاً ، الجزء التاسع ، ص : ٢٠٤ - ٢٠٦ .

١٠٣ - دهستان ، بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان .  
ياقوت : نفسه ، ج٢ ، ص : ٤٩٢ .

١٠٤ - المشهور هو عرق اليمن ، وإلى ذلك أشار النويري : نهاية الأرب ، ج١ ، ص : ٣٧١ عند حديثه عن خصائص البلدان الإسلامية . أما عبدالرحمن حميدة : نفسه ، ص : ٢٢٦ ، فقد قال - دون ذكر سنده - إن العرق المدني يصيب الإنسان ، وينسب إلى المدينة - المدينة المنورة - لانتشاره فيها .

- ١٠٥- بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، وهي أجل مدن خراسان وأكبرها وخيرها .  
ياقوت : نفسه . ج١ ، ص : ٤٧٩ .
- ١٠٦- مثل يضرب لمن يحمل شيئاً إلى بلد مشهور بهذا الشيء . وهجر المقصودة (الأحشاء حالياً بالملكة العربية السعودية) ، قال عنها ياقوت : نفسه ، ج٥ ، ص : ٢٩٣ : مدينة ، وهي قاعدة أو قصبة بلاد البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر ، وقد رجح ياقوت ذلك .
- ١٠٧- سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وهي إحدى بلدان المشرق ، وقد اشترط أهلها على المسلمين لما فتحوها أن لا يقتل في بلدهم قنذ ولا يصاد ، لأنهم كثيرو الأفاعي والقناذ تأكل الأفاعي ، فما من بيت إلا وفيه قنذ .  
ياقوت : نفسه ، ج٣ ، ص : ١٩٠ .
- ١٠٨- شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمدان ، ومعنى شهر بالفارسية : مدينة ، وبها عقارب قتالة أضرب من عقارب نصيبين .  
ياقوت : نفسه ، ج٣ ، ص : ٣٧٥ - ٣٧٦ .
- ١٠٩- الجرأرة : عقرب صفراء صغير على شكل الثبنة ، وهي من أخبث العقارب . والجمع : جرارات .  
إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ج١ ، ص : ١١٦ .
- ١١٠- الأهواز : جمع هوز : كورة عظيمة ، كان اسمها في أيام الفرس : خوزستان . أما في الإسلام فقد أصبح اسمها الأهواز ، وهو اسم عربي . والأهواز إقليم أو كورة بين البصرة وفارس . وقد ذكر ياقوت أن الجرأرات عقارب قتالة تجر ذنبها إذا مشيت لارتفاعها كما تفعل العقارب ، والمقصود بهذا عقارب الأهواز .  
ياقوت : نفسه ، ج١ ، ص : ٢٨٤ .
- ١١١- البرود : واحدتها : برذ ، ثوب فيه خلوط وخص بعضهم به الوشي ، والجمع : أبراد ، وأبرد ، وبرود .  
ابن منظور : نفسه ، ج٣ ، ص : ٨٧ .
- ١١٢- الدبابيح : واحدتها الديباح : ضرب من الثياب ، ويجمع على دبابح ، ودبابيح ، وهي ثياب متخذة من الإبريسم ، وهو لفظ فارسي معرب .  
ابن منظور : نفسه ، ج٢ ، ص : ٢٦٢ .
- ١١٣- الخز : ذكر ابن منظور : نفسه ، ج٥ ، ص : ٣٤٥ أنه المعروف من الثياب المشقق منه ، عربي صحيح ، والجمع خزوز .
- ١١٤- السوس : عدة مواضع في أمصار إسلامية مختلفة . والسوس المقصودة في المداعبة هي بلدة تقع في إقليم الأهواز .

انظر ياقوت : نفسه، جـ: ٣، ص: ٢٨١. ومما يؤكد أنها الفسודה بالتعت الذي وصفت به أنها أولاً بلدة مشرقية يعرفها أبو دلف، وثانياً أن الثعالبي في كتابه لطائف المعارف، سالف الذكر، يقول عندما مر ذكر الأهواز: . . . ومنها السوس التي بها طراز الخروز الثمينة الملوكة .

انظر، ص: ١٧٤.

١١٥- الأبلّة: مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ ولها نهر يقع في شمالها، وجانبها الآخر على نهر عربي دجلة.

الحميري: المصدر السابق، ص: ٨.

١١٦- قال ابن منظور: نفسه، جـ: ٧، ص: ٣٢٠: السقلاطون: نوع من الثياب.

أما القبروز أبادي (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م): القاموس المحيط، منشورات المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ٤ أجزاء، جـ: ٢، ص: ٣٧٦، ٣٧٩، فقد قال: السجلاط (السقلاط): ثياب كتّان موشية وكأن وشية خاتم. وسقلاطون بك بالروم تنسب إليه الثياب.

١١٧- السنجاب: حيوان أكبر من الجرذ، له ذنب طويل، كثيف الشعر، يضرب به المثل في خفة السعود. ولونه أزرق رمادي، ومنه اللون السنجابي.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الرسيط، جـ: ١، ص: ٤٥٦. أما محققاً لطائف المعارف، فقد عرفاً بالسنجاب - دون ذكر المصدر - بأنه حيوان على حد البربوع أكبر من الفأر، وشعره في غاية النعومة ويتخذ من جلده الفراء . . . وهو كثير ببلاد الصقالبة والترك.

انظر، ص: ٢٢٢، حاشية رقم (٤). والبربوع كما جاء في المعجم الرسيط، جـ: ١، ص: ٣٢٥: دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها.

١١٨- قال عنها الحميري: المصدر السابق، ص: ٢١٤، هي ناحية تجاور الصين كثيرة الخصب والسكن.

١١٩- السمور: حيوان ثديي ليلي من آكلات اللحوم، يشخذ من جلده فرو ثمين، ويقطن شمالي أسية.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الرسيط، جـ: ١، ص: ٤٥٠.

١٢٠- بلاد البلغار في عرف المؤرخين والجغرافيين المسلمين هي البلاد التي تمتد من بحر قزوين شرقاً حتى البحر الإديرياتي غرباً، وقد أطلقوا عليها بلاد بلغاريا العظمى، وكذلك: بلاد الصقالبة الذين هم شعب أوروبي، وتحدثنا: سلافي.

وانظر كذلك المادة الواسعة التي كتبها V.V.Bartold (بارتولد) (١٨٦٩ - ١٩٣٠م/ ١٢٨٦-١٩٤٩م): دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها مجموعة من المستشرقين، وقد ترجمت إلى اللغة العربية بمعرفة مجموعة من الباحثين العرب،

ونشرتها عدة دور. والمادة المذكورة وردت في منشورات دار الفكر، القاهرة، صدر منها ١٥ مجلداً، المجلد الرابع، ص: ٨٨ - ١٠٢.

١٢١- التَّنَكُّ : ضرب من الثعالب. فروثه أجود أنواع القراء، وتسمى فراؤه تَنَكًّا أيضاً.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، ج٢، ص: ٧١٠.

١٢٢- كاشغر : مدينة تقع في تركستان الشرقية التي ضمنتها إليها الصين بالقوة سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، وهي من أهم مدن بلاد التركستان الشرقية (سنكيانج) : المقاطعة الجديدة باللغة الصينية.

عن كاشغر ودخول الإسلام إليها وعن تركستان الشرقية وضمها إلى الصين، انظر، عيسى يوسف ألب تاكين: قضية تركستان الشرقية، مؤسسة مكة للطباعة والأعلام، مكة، مطبعة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، الباب الأول، الباب الثالث.

١٢٣- الغامق : حيوان يشبه السنجاب، إلا أنه أبرد منه وأرطب، ولهذا هو أبيض يقق، وهو يجلب من بحر الخزر، وجلده يشبه جلد التَّنَك. النوبري: المصدر السابق، ج١، ص: ٣١٩.

١٢٤- التفرغز : قبيلة تركية من كيريات قبائل وسط آسيا. وقد أطلقه العرب على قبائل الأويغور، الذين ينتشرون بين الصين الشعبية الآن والاتحاد السوفيتي (السابق) فيما كان يعرف ولا يزال ببلاد التركستان.

انظر هارنوك : دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، ص: ٣٢٢ - ٣٢٤.

على أن السيد الباز العربي يؤكد في كتابه: المغول، منشورات دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٣٠، ٣١ على أن التفرغز هم من الأغوز، أو الغز، وهم قبائل تركية معروفة. أما لفظة التفرغز، فإنها تعني القبائل العشرة، أي أن الأغوز بنألقون من عشرة قبائل، ومما يجدر ذكره أن السلاجقة الذين أقاموا إمبراطورية امتدت من تركستان الصينية حتى حدود مصرهم من هذه القبيلة.

١٢٥- الحوصل، والحوصللة، والحوصللة، والحوصلة أمن الطائر بمنزلة المعدة من الإنسان. هكذا ذكر ابن منظور: نفسه، ج١، ص: ١٥٤، وقيل الشاة التي عظم من بطنها ما فوق سرتها. وقد نقل محققا لطائف المعارف عن أكثر من مصدر أن الحواصل هي الجلود التي تلبس للندفة.

انظر حاشية (٥)، ص: ٢٠٠.

١٢٦- التَّنَكُّ : واحدها التَّنَكَّة : رباط السراويل.

ابن منظور : نفسه، ج١، ص: ٤٠٦.

١٢٧- الزلالي، واحدها : الزلالية : نوع من البسط.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص: ٤٠٠.

- ١٢٨- مدينة مشهورة من مدن أرمينية، وقد قال عنها ياقوت: نفسه، ج٤، ص: ٢٩٩، نعمل بها البُسط السماء بالقالي واختصاراً لكلمة فالقلا.
- ١٢٩- المطارح، واحدتها: المطرح: الغرش.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج٢، ص: ٥٥٩.
- ١٣٠- ميسان: كورة واسعة كثيرة النخل والقرى بين البصرة وواسط العراق ياقوت: نفسه، ج٥، ص: ٢٤٢.
- ١٣١- السراي: جمع، والواحدة: السُرّة. ونسرى الجارية: من السُرّة، وأصله تسرر من السرور، فأبدلوا من إحدى السراءات ياء، كما قالوا: نقضى من نقضض.
- ابن منظور: نفسه، ج١٤، ص: ٣٧٨.
- ١٣٢- قال ابن منظور: نفسه، ج١٠، ص: ٢٣٥: عَنَّتَ الفرسُ نَعْنَقُ وَعَنَّتْ عَنَقًا: سَبَقَتْ الخيلَ فَجَحَّتْ، وفرس عائق: سابق.
- ١٣٣- قال ابن منظور: نفسه، ج١، ص: ٧٥٨: النجيب من الإبل: القوى منها الخفيف السريع.
- ١٣٤- البرذون: والجمع: براذين، ضرب من الدواب يخالف الخيل العرب، عظيم الخلقة غليظ الأعضاء.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص: ٤٨. ولم يفلن عبدالرحمن حميدة: المرجع السابق، ص: ٢٣٧، وكذلك محمد عبدالمنعم خفاجي: المرجع السابق، ص: ٤٤ إلى ذلك، أي أنهما أوردا هذا الاسم: بالزاي أخت الزاء. أو لعله خطأ طباعي.
- ١٣٥- طخارستان: ولاية واسعة كما يقول ياقوت: نفسه، ج٤، ص: ٢٣، وتشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي قسمان: طخارستان العليا وطخارستان السفلى، ومن أهم مدنها: المثلقان.
- ١٣٦- بردعة: ذكرها ياقوت: نفسه، ج١، ص: ٣٧٩. فقال إنها بلد في أقصى أذربيجان، وقد نقل عن أحد الجغرافيين، أنها قسبة أذربيجان.
- ١٣٧- كرمان: ولاية مشهورة وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل.
- ياقوت: نفسه، ج٤، ص: ٤٥٤.
- ١٣٨- الدبس، والدبس: عسل التمر وعصارته. وقال أبوحنيفة: هو عصارة الرطب من غير طبخ، وقيل هو: ما يسيل من الرطب.
- ابن منظور: نفسه، ج٦، ص: ٧٥ - ٧٦.

١٣٩- أرجان : مدينة فارسية كبيرة ، كثيرة الخير . بها نخيل كثيرة وزيتون كما ذكر ياقوت :  
نفسه ج١ ، ص : ١٤٢ - ١٤٣ .

١٤٠- حلوان : أكثر من موضع جغرافي ، فهناك حلوان العراقي ، وهناك حلوان مصر ،  
وهناك حلوان البلدة التي تقع في آخر حدود خراسان ممّا يلي أصبهان ، والمقصود هنا :  
حلوان المشهورة بكثرة ثينها ، وهي حلوان العراق .

ياقوت : نفسه ، ج٢ ، ص : ٢٩ وما بعدها .

١٤١- العنّاب : من الثمر معروف . الواحدة عَنّابة ، وربما سمي نمر الأراك عَنّابا .

ابن منظور : نفسه ، ج١ ، ص : ٦٣٠ .

١٤٢- بُست : مدينة بين سجستان وخراسان (في بلاد الأفغان حاليا) ، وقد قال ياقوت :  
نفسه ، ج١ ، ص : ٤١٤ : وأقننها من أعمال كابل .

١٤٣- قال ياقوت عنها : نفسه ، ج٤ ، ص : ٤٩ ، هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة  
فراسخ .

١٤٤- المَلّين : ضرب من الحلوى لين المضغّة ، وقد يحشى بالجوز .

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص : ٨٢٠ .

١٤٥- بُت - بالضم - قال عنها ياقوت : نفسه ، ج٢ ، ص : ١٠ : بلد بأرض الترك ، وهي  
مناخمة لمملكة الصين ومناخمة من إحدى جهاتها لأرض الهند (هي بلاد البت الحالية) ،  
وقد فصل ياقوت الحديث عن مسكها وقهنته وكيفية استخراجها .

١٤٦- الشَّحْرُ : قال ياقوت : نفسه ، ج٢ ، ص : ٣٢٧ : الشَّحْرُ : الشط ، وهو صقع على ساحل بحر  
الهند (البحر العربي أو بحر العرب) من ناحية اليمن ، وقال الأصمعي : هو بين عدن  
وعمان ، وإليه ينسب الغنبر الشحري .

١٤٧- قال عنها التويري : المصدر السابق ، ج١ ، ص : ٢٩٢ ، هي جزيرة محيطها سبع مئة  
فرسخ ، والكافور المنسوب إليها أفضل ممّا عداه . وأورد ناشرو موسوعة نهاية الأرب  
في حاشية (٣) من نفس الجزء والصفحة أعلاه ، عدة أقوال عن فنصور ، ومنها أنها  
مدينة في جنوبي جزيرة جاوة نقلاً عن أبي الفداء في تقويم البلدان ، أو هي جزيرة  
سرنديب كما ذكر المسعودي في مروج الذهب .

١٤٨- الأَثْرُجُ : شجر يملو ، ناعم الأغصان والورق والثمر ، وثمره كالثيمون الكبار ، وهو  
ذهبي اللون ، ذكي الرائحة ، حامض الماء .

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، ج١ ، ص : ١٤ .

١٤٩- الثَّارَنُجُ : شجرة مثمرة من الفصيلة البرتقالية دائمة الخضرة ، تسمو إلى نحو عشرة  
أمتار ، أوراقها جلدية خضراء لامعة ، لها رائحة عطرية وأزهارها بيضاء عذبة تظهر في  
الربيع . . . وتستخدم أزهارها في صنع ماء الزهر .



- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٩٢٠.
- ١٥٠- الترجس: ثبت من الرياحين، وهو من الفصيلة الترجسية، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحته، وزهرته تشبه بها العين. واحدته: ترجمه.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٩٢٠.
- ١٥١- النيكوفر: والنيكوفر: جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية، وفيه أنواع تثبت في الأنهار والمناقع، وأنواع تزرع في الأحواض لورقها وزهرها.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٩٧٦.
- ١٥٢- قال ياقوت عنها: نفسه، جـ٣، ٢٩٧، السبروان: موضع بفارس، والسبروان موضع بالري.
- ١٥٣- قال ياقوت: نفسه، جـ١، ص: ١٨٠، جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً، وإليها ينسب الورد الجوري، وهو أجود أصناف الورد، وهو الأحمر الصافي.
- ١٥٤- المنثور: نبات ذو رائحة ذكية، وهو كثير في مصر، وواحدته: منثورة.
- ١٥٥- حققها إبراهيم الإبراري وحسن كامل الصيرفي فقالا: الساهسقم: ملك الرياحين، وهو دقيق الورق جداً، يكاد يكون كورق السذاب، عطر الرائحة.
- انظر التعالي: لطائف المعارف، ص ٢٣٩. السذاب كما ورد في المعجم الوسيط، جـ١، ص: ٤٢٦، هو جنس نباتات طبية من الفصيلة السذابية.

★ ★ ★

### قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١ - الكامل في التاريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليها نخبة من العلماء، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٠ أجزاء.

أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م):

٢ - مُسند الإمام أحمد بن حنبل، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٦ مجلدات.

الأنباري (محمد بن القاسم) (ت ٣٢٧هـ/٩٤٨م):

٣ - الأضداد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن نيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م):

٤ - العبودية (مسئلة من الفتاوى الكبرى)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨١م/١٤٠١هـ.

الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

٥ - بنيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد فميحة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٤ أجزاء.

٦ - لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، منشورات دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

الحميري (محمد بن عبدالمعتم) (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

٧ - الروض المطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، منشورات مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م.

ابن حوقل (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٨ - صورة الأرض، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م/١٣٩٧هـ، ٨ مجلدات.

الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٣٢م):

١٠ - تاريخ الأمم والملوك، منشورات القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت (دون سنة للطبع)، ١٣ جزءاً.

الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤هـ):

١١ - القاموس المحيط، منشورات المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (دون سنة للطبع)، ٤ أجزاء.

القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

١٢ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه يوسف علي طويل، وقد ضيّقت هذه الطبعة وقوبلت على طبعة دار الكتب المصرية، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ١٤ جزءاً.

السعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

١٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، منشورات مطبعة السعادة بمصر، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جزآن.

ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):

١٤- تجارب الأمم، منشورات شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ٦ مجلدات.

ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م):

١٥- لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت (دون سنة للطبع)، ١٥ مجلدًا.

النوري (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

١٦- نهاية الأرب في فنون الأدب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - سلسلة من ثرائها، القاهرة، ٣٠ جزءًا.

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

١٧- معجم الأدياء، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٣، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ٢٠ جزءًا.

١٨- معجم البلدان، منشورات دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ٥ أجزاء.

ثانيًا: المراجع العربية والمعرية:

إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار:

١ - المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة العلمية، طهران، جزآن.

أحمد أمين:

٢ - ظهر الإسلام، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ٥ طبعات، ط٥، جزآن.

أحمد شلبي:

٣ - موسوعة مقارنة الأديان، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٩ طبعات، ط٩، ١٩٩٠م، ٤ أجزاء.

أحمد فؤاد الأهواني:

٤ - التربية في الإسلام، دراسات في التربية، منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

إغناطيوس كراتشوفسكي:

٥ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله عن الرسية صلاح الدين عثمان، منشورات دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

بارتولد (V.V. Bartold):

٦ - مقالة عن بلاد بلغار، المجلد الرابع.

٧ - مقالة عن شعب النغزغز ، المجلد الخامس .

دائرة المعارف الإسلامية - أصدرها مجموعة من المنشورين ، تُرجمت إلى اللغة العربية بمعرفة مجموعة من الباحثين العرب ، منشورات دار الفكر ، القاهرة ، (دون سنة للطبع) ، ١٥ مجلدًا .

بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف :

٨ - الرسالة الثانية لأبي دلف رحالة القرن العاشر (الميلادي) نشر وتعليق محمد منير مرسى ، منشورات عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

حسن إبراهيم حسن :

٩ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، منشورات مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٤ م ، ٤ مجلدات .

حمد الجاسر :

١٠ - بلاد بنيع - لغات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة - منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، (دون سنة للطبع) .

خير الدين الزركلي :

١١ - الأعلام ، منشورات دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠ م ، ٨ مجلدات .

زكي محمد حسن :

١٢ - الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، منشورات دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .

السيد الباز العربي :

١٣ - المغول ، منشورات دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ م .

عبد الرحمن حميدة :

١٤ - أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، منشورات دار الفكر ، دمشق ، ط١١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

عمر رضا كحالة :

١٥ - العلوم البحتة في العصور الإسلامية ، مطبعة الترفي ، دمشق ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

عمر فروخ :

١٦ - تاريخ العلوم عند العرب ، منشورات دار العلم للملايين ، بيروت ط٥ ، ١٩٨٤ م .

عيسى يوسف ألب ناكين :

١٧ - قضية تركستان الشرقية ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، مكة المكرمة . طبعة عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

كارل بروكلمان :

١٨- تاريخ الأدب العربي، تولّت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية العمل على ترجمته من لغته الألمانية الأصلية إلى اللغة العربية بعناية عبدالحليم النجار ورمضان عبدالقواب، نشرته دار المعارف المصرية، القاهرة، (دون سنة للطبع)، ٦ أجزاء.

محمد السيد غلاب، وحسن عبدالقادر صالح، ومحمود شاكر:

١٩- البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، بمناسبة المؤتمر الجغرافي الأول سنة ١٣٩٩هـ.

محمد شليخ غربال وآخرون :

٢٠- الموسوعة العربية الميسرة، منشورات دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

محمد عبدالمتعم خفاجي :

٢١- أبو دلف الخزرجي - صيفري من ينبع، منشورات دار الرقاعي، سلسلة المكتبة الصغيرة، ط٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

محمود مصطفى الدمياطي :

٢٢- معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي: أحمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق أبو القيس الحسبني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

هيوار (Cl- Huart)

٢٣- مقالة عن إقليم الجبال، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس.

ول ديورانت :

٢٤- قصة الحضارة، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة (نسخة مصورة)، ترجمة عدد من الباحثين العرب، ١٩٧١م، ٣٦ جزءاً

\* \* \*